Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

ظاهرة التفخيم والترقيق بين علماء التجويد وعلماء الأصوات.

The phenomenon of Elevation and Lowering Letters between Tajweed Scholars and phonologists.

بوخاري خيرة boukhari kheira
المركز الجامعي أحمد زبانة-غليزان
kheira.boukhari@cu-relizane.dz

تاريخ الاستلام : 2020-12-02 تاريخ القبول : 2021-04-11

ملخص:

يسعى هذا البحث إلى تسليط الضوء على ظاهرة صوتية استحوذت على اهتمام الكثير من الباحثين من علماء التجويد، وعلماء الأصوات المحدثين؛ وهي ظاهرة التفخيم والترقيق لأصوات اللغة العربية، خاصة وأن الدراسات القرآنية غطت جانبا كبيرا من الفكر الصوتي العربي وأثرت فيه. في ظل هذا التكامل المعرفي بين العلمين أصبح من وَكْدِ هذه الدراسة الإلمام بحقيقة هذه الظاهرة والكشف عن طبيعتها، والوقوف على المعايير التصنيفية لأصوات العربية من حيث التفخيم والترقيق، ومدى أثر السياق في تحديد مراتبها.

كلمات مفتاحية: التفخيم، الترقيق، علماء التجويد، علماء الأصوات، مراتب التفخيم والترقيق.

Abstract:

This research seeks to shed light on a phonetic phenomenon that has captured the attention of many researchers from Tajweed scholars, and modern phonologists; the phenomenon of Elevation and Lowering of the Letters of the Arabic language, especially since Quranic studies covered and influenced a large part of Arabic phonetic thought. In light of this

knowledge integration between the two sciences, it became possible with this study to know the truth of this phenomenon, reveal its nature, and identify the classification criteria of Arabic voices in terms of Elevation and Lowering Letters, and the extent of the context impact in determining their classes.

Keywords: Elevation Lowering Letters, Tajweed Scholars, Phonologists،

Elevation and Lowering Letters Levels.

1. مقدمة:

تعد ظاهرة التفخيم والترقيق من المسائل الصوتية الأكثر تعقيدا، والتي ما زالت تحتاج إلى الكثير من الجهد والدراسة، رغم أنها حظيت باهتمام كبير من قبل أغلب علماء التجويد، كابن الطحان، وابن الجزري، ومكي بن أبي طالب، والمرعشي وغيرهم من الذين تناولوها بالدقة والتحليل في الأداء القرآني على عكس اللغويين القدامى الذين لم يكن لهم سوى بعض التلميحات عنها في عرض حديثهم عن ألف التفخيم والإمالة.

وفي ظل التقدم الكبير الذي أحرزته الدراسات الصوتية الحديثة، راحت هذه الدراسة تروم الوقوف على آلية التفخيم والترقيق وقوانينها الصوتية عند علماء التجويد والأصواتيين، وتحت مسعى تلك الدعوات التي تحث على ضرورة التنسيق والتكامل المعرفي بين العلمين من أجل رفد الدرس الصوتي والمضي به قدما، يحاول البحث الإجابة عن بعض التساؤلات: ما حقيقة التفخيم والترقيق عند كل من علماء التجويد علماء الأصوات؟وما هي المعايير المحتكم إليها في ضبط تفخيم وترقيق الصوامت العربية؟وهل هناك تلامس بينهما أم تباعد وانفراج في دراسة هذه القضية؟

2. مفهوم التفخيم والترقيق:

1.2 لغة:

أ/التفخيم:

بالرجوع إلى المعاجم العربية ألفينا أن « الفاء والخاء والميم أصل صحيح يدل على جزالة وعظم، ويقال منطق فخم:جزل، ويقولون: الفخم من الرجال: الكثير لحم الوجنتين»[1].

وذكر صاحب اللسان أن التفخيم:«هو التعظيم، فخم الشيء يفخم فخامة، وفخم الرجل بالضم فخامة، أي ضخم، والتفخيم في الحروف ضد الإمالة»[2]، وباستنطاقنا لهذه النصوص نجد أن معاني التفخيم في اللغة العربية كلها تصب في مفهوم واحد وهو الجزالة والعظمة والضخامة بشكل مطلق.

ب/الترقيق:

للجذر اللغوي (ر.ق) في اللغة العربية«أصلان: أحدهما صفة تكون مخالفة للجفاء، والثاني: اضطراب شيء مائع.

فالأول الرقة: يقال رق يرق رقة فهو رقيق، منه الرقاق، وهي الأرض اللينة، وهي أيضا الرَّق والرِّق، والرَّقق، ضعف في العظام. قال: لم تلق في عظمها وهنا ولا رققا»[3]

وورد في اللسان في معنى الترقيق:«الرقيق نقيض الغليظ والثخين، والرقة: ضد التغليظ...وأرق الشيء ورققه: جعله رقيقا، واسترق الشيء:نقيض استغلظ،...وترقيق الكلام تحسينه»[4]، وهي كلها توحي باللين والضعف.

2.2 اصطلاحا: عند علماء التجويد:

لم يول علماء العربية مصطلح التفخيم ومقابله الترقيق عناية كبيرة، وإنما اكتفوا فقط بذكر المصطلح في ثنايا مؤلفاتهم دون توضيح أو تحديد لمفهومه وأسباب وآليات حدوثه، بحيث نجد لهم إشارات عابرة إليه كألف التفخيم، واللام والراء المفخمة عند سيبويه وتبعه في ذلك وسار على هذا نهجه لاحقوه. وسعيا منا للوقوف على أصالة المصطلح في الفكر العربي، أصبح لزاما علينا الوقوف على ماهية التفخيم وأصواته عند علماء التجويد؛ لأن عنايتهم بالمصطلح ونظيره كانت جد واضحة، فاكتسب عندهم الدقة والوضوح.

ومن هؤلاء مكي بن أبي طالب القيسي (ت 437ه)، بحيث عرفه بقوله:« التفخيم يعني التغليظ»[5]، وهناك من ربط بين التفخيم والاستعلاء، كالقرطبي (ت461ه) في قوله:«التفخيم والاستعلاء من واد واحد»[6]، وأضاف على ذلك :« فصار التفخيم في كونه انحصار الصوت بين اللسان والحنك نظير الاستعلاء والإطباق»[7]، وهنا إشارة واضحة إلى ذلك التداخل بين التفخيم والاستعلاء من الناحية النطقية.

أما المرعشي(ت1150ه) فحدده بقوله:« والتفخيم عبارة عن سمن يدخل على جسم الحرف فيمتلئ الفم بصداه، والتفخيم والتسمين والتجسيم بمعنى واحد»[8].

لقد درج هؤلاء على توظيف مصطلحات عدة مرادفة للتفخيم في مصنفاتهم، إلا أن مصطلح التفخيم كان أكثرها استعمالا وشيوعا في متونهم، ومن هذه المصطلحات؛ نجد التغليظ والتسمين والتجسيم، وتتعالق هذه المصطلحات في سمة أساسية تتصل اتصالا مباشرا بقوة الصدى الصوتي الذي يولده الهواء المنضغط داخل الفم، جراء التضييق الذي يحدثه تقعر اللسان وتصعده نحو الحلق.

أما فيما يخص الترقيق، فهو «عبارة عن نحول يدخل على جسم الحرف فلا يمتلئ الفم بصداه»[9]، وتجب الإشارة هنا، أن مصطلح الترقيق نجد بعض العلماء من يقابله بالتنحيف والنحول، وذلك في باب التعريف بالترقيق، ومن هؤلاء ابن الجزري في معرض حديثه عن مفهوم الترقيق، وذلك في قوله:« من الرقة وهو ضمن السمن، فهو عبارة عن إنحاف ذات الحرف ونحوله»[10]، ولعل مرد هذا النحول في صوت الحرف إلى استفال أقصى اللسان، مما يجعل الممر الصوتي مفتوحا دون أي تضييق.

التفخيم والترقيق عند علماء الأصوات:

اهتم علماء الأصوات اهتماما كبيرا بظاهرة التفخيم والترقيق في أصوات العربية، فأخضعوها للدراسة والتحليل من الجانب الفيزيولوجي، ووقفوا عند بيان مفهوم التفخيم خاصة؛ لأن تركيزهم كان موجها بشكل واضح إلى لتفخيم، أما الترقيق فلا نجد له سوى شذرات نصية في سياق حديثهم عن التفخيم، فلم يحظ بنفس العناية، وقد أفضت أغلب الدراسات الصوتية إلى أن التفخيم من الناحية النطقية هو «ظاهرة أصواتية ناتجة عن حركات عضوية تغير من شكل حجرات الرنين بالقدر الذي يعطي الصوت هذه الصفة الصوتية المفخمة»[11]

وهناك من المحدثين من وضح آلية نطقه مقارنة بنظيره المرقق، ومن هؤلاء عبد الرحمن أيوب، وذلك في قوله:« والصوت المفخم لا يفترق عن نظيره غير المفخم من الناحية الأدائية إلا في تراجع مؤخرة اللسان بحيث يضيق فراغ البلعوم الفموي»[12]، وفي هذا تركيز على ارتفاع جذر اللسان وتصعده نحو الطبق، مما يحدث تضييقا في المجرى النفسي، ولهذا أثر في نطق الصوت المفخم.

وهو ما أكده محمد علي الخولي بقوله:«التفخيم سمة تصاحب الصوت وتنشأ من ارتفاع مؤخر اللسان إلى الأعلى نحو الطبق، وتراجعه إلى الخلف نحو الحلق، لهذا يدعى التفخيم إطباقا أو تحليقا، ويدعى الصوت مفخما أو مطبقا أو محلقا، وإذا لم يكن الصوت مفخما فهو مرقق، وغياب التفخيم عن صوت ما يعني حدوث الترقيق.

وهناك من المحدثين من نبه إلى أن التفخيم وليد ذلك التواشج بين آليتين؛ إحداهما عضوية نطقية وأخراهما سمعية إدراكية، وهو ما يتجلى في النص الآتي:«التفخيم vélarisation أثر سمعي ينتج عن عوامل فسيولوجية متداخلة، ندرك منها عاملين مهمين؛ أولهما:ارتفاع مؤخر اللسان تجاه أقصى الحنك the soft palate أو the volume(الحنك اللين)، فيحدث تغير في التجويف الفموي، محدثا رنينا مسموعاresonance، ثانيهما:رجوع اللسان إلى الخلف بصورة أسرع مما يحدث له في أثناء النطق بالأصوات المرققة»[13]، وهذا يبين بوضوح أن لحركة اللسان داخل الفم فاعلية كبيرة في التفخيم.

وبناء على الأسانيد القولية السابقة، يمكننا القول: إن ظاهرة التفخيم « تتولد بعمليتين نطقيتين تصطحبان معا، وكلاهما يعتمد على حركة اللسان، فأما إحداهما فرئيسية أمامية، تقع في المخرج الأسناني أو اللثوي من المجرى الفموي، وفي ضوئها يأخذ الصوت صفته العضوية من حيث المخرج، وأما الأخرى فثانوية خلفية، وهي الأهم، وتقع في مجرى فم الحلق بأعلاه، حيث يستعلي ظهر اللسان (ثلثه الأخير)، متخذا شكل الاستدارة، ومقاربا جدا منطقة الحنك اللين(الطبق) على حين يرتد مؤخر اللسان(جذره) نحو الحلق، محدثا تطبيقا في هذا المخرج(الحلق-طبقي)، وإذ ما ينحصر الهواء هنا فإنه يحدث جرسا صوتيا خاصا، أو رنينا معينا، هو ما يوصف بالتفخيم»[14].

تطرق إلى هذا التوصيف الفونتيكي الدقيق للتفخيم الكثير من الأصواتيين المتأخرين، كمصطفى حركات الذي أشار إلى عوامل التفخيم النطقية في قوله:«والتفخيم أثر سمعي ينتج عن عوامل فسيولوجية متداخلة، ندرك منها عاملين مهمين:

الأول: ارتفاع مؤخر اللسان تجاه أقصى الحنك، فيحدث فغير في التجويف الفموي محدثا رنينا مسموعا، وهذا تحرك عضوي لمؤخر اللسان يسمى "بالتحليق"

الثاني: رجوع اللسان إلى الخلف بصورة أسرع مما يحدث له أثناء النطق بالأصوات المرققة »[15]، مما يتولد عنه ضخامة وقوة في الصوت اللغوي، والتفخيم يستند بشكل كبير «في درجته إلى المقدار الذي يستعلي فيه مؤخر اللسان باتجاه الحنك اللين، إذ كلما ارتفع مؤخر اللسان أكثر زادت القيمة السمعية للتفخيم»[16] في أصوات اللغة.

ومما هو ملاحظ أن المحدثين اعتنوا بالتفخيم عناية كبيرة، واستفاضوا البحث فيه، على عكس الترقيق الذي نجد له إشارات محدودة، وتلميحات على أنه نظير للتفخيم، دون أن نستثني مساعي وجهود بعض الباحثين المتأخرين، الذين حاولوا إعطاءه حيزا في أبحاثهم الصوتية، وأقروا بأصالته في الأصوات العربية، ومن هؤلاء المفكر واللغوي "سمير شريف استستية، الذي صرح في قوله: إن «الأصل في الأصوات اللغوية أن تكون مرققة، غير أن بعض الأصوات مفخم أو مطبق، وإنما ذهبنا إلى أن الأصل في الأصوات اللغوية أن تكون مرققة؛ لأن معظم الأصوات المطبقة والمفخمة لها نظائر مرققة، ولما كانت الأصوات المفخمة تحتاج إلى جهد عضلي زائد، فقد دلنا هذا على أن النظائر المرققة هي الأصل، وأن ما أنتج مع جهد عضلي زائد، إنما هو مشتق من هذا الأصل»[17]، المتمثل في الترقيق.

وإذا كان التفخيم يصاحبه ارتفاع أو تصعّد في مؤخر اللسان نحو الطبق، متخذا شكلا تقعّريا، بحيث تتجمع فيه الذبذبات الصوتية المضخمة للصوت، فإن« الترقيق يحدث عندما يصاحب إنتاج الصامت ارتفاع مقدم اللسان ووسطه قليلا في اتجاه الغار، أي الحنك الصلب، ويطلق على ظاهرة الترقيق هذه مصطلح "التغوير"palatalization، وللترقيق مفهوم آخر في اللغة العربية، هو أن الصامت المرقق هو الصامت غير

المفخم وبذلك تكون الصوامت جميعها في العربية باستثناء الصوامت المفخمة»[18]، وعلى هذا الأساس، يصبح الترقيق:« هو الأثر السمعي الناشئ عن عدم تراجع مؤخرة اللسان، بحيث لا يضيق فراغ البلعوم الفموي عند النطق بالصوت »[19] المرقق.

إن المتمعن في تعريفات المحدثين لصفة التفخيم، يدرك لا محالة ذلك التداخل عند بعضهم بين التفخيم والإطباق، فاستخدموا كل من التفخيم والإطباق ليدلا على معنى واحد، وهذا ما لمح إليه الباحث سمير شريف استستية في قوله:« وقد يكون من الظن الشائع بين دارسي علم الأصوات أن التفخيم والإطباق مصطلحان يدلان على مضمون واحد، وهو ظن لا يثمر شيوعه في إثبات صحته، فالفرق بين المصطلحين فرق كبير من الناحية النطقية»[20]، ومن الباحثين الذين نجد عندهم هذا التداخل بشكل جلي، محمد علي الخولي الذي نجد عنده مصطلحا ثالثا يتداخل مع التفخيم وهو التحليق[21]، واستنبطوا هذا الأخير من تصعد اللسان للحلق ومحاذاته له، ونجد هذا المنحى أيضا عند أحمد مختار عمر[22].

3. تصنيف الأصوات من حيث التفخيم والترقيق:

1.3 عند علماء التجويد:

ذهب أغلب أهل القراءات والتجويد في تصنيف الصوامت العربية من حيث التفخيم والترقيق إلى ثلاثة أقسام، ومن هؤلاء نذكر ابن الطحان (ت561ه)، وذلك من خلال قوله:«تنقسم الحروف عليها ثلاثة أقسام:

-قسم مفخم بإجماع.

-قسم مرقق بإجماع.

-وقسم ينقسم ثلاثة أقسام:

-قسم لاحق بما أجمع على تفخيمه.

- قسم لاحق بما أجمع على ترقيقه.

-وقسم يستعمل فيه الترقيق والتفخيم»[23]، ويقصد بلفظ " عليهما" بالترقيق والتفخيم، ويضم القسم الأول (مفخم بإجماع) حروف الاستعلاء السبعة: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والخاء، والغين، والقاف، وهي مفخمة بإجماع أهل القراءات والتجويد. أما القسم الثاني فيشمل عشرون صوتا المجموعة في قول(توثب زياد فسكن عمه إذ جحش)، وهي مرققة بإجماع العلماء، وبالنسبة للقسم اللاحق بما أجمع على تفخيمه، فيضم صوت اللام من لفظ الجلالة (الله)، بعد فتح أو ضم، والراء المفتوحة والمضمومة، أما اللاحق بما أجمع على ترقيقه، اللام من اسم الله عزوجل بعد كسر، والراء المكسورة ، والساكنة الملحقة بياء ساكنة[24].

وهو نفسه ما ذهب إليه ابن الجزري (ت833ه) في كتابه "النشر في القراءات العشر" فيقوله:«فاعلم أن الحروف المستفلة كلها مرققة لا يجوز تفخيم شيء منها إلا اللام من اسم الله تعالى بعد فتحة أو ضمة إجماعا، أو بعد حروف الإطباق في بعض الروايات، وإلا الراء المضمومة أو المفتوحة مطلقا في أكثر الروايات والساكنة في بعض الأحوال...والحروف المستعلية كلها مفخمة لا يستثنى شيء منه في حال من الأحوال »[25]، وهي (ص ض ط ظ ق خ غ) ترد دائما مفخمة، باعتبار سمة التفخيم مصاحبة للإطباق والاستعلاء. وتبنى هذا الموقف "الوفائي" (ت 1020ه) أيضا متأخرا في كتابه:"الجواهر المضيئة على المقدمة الجزرية"[26].

وخالفهم في ذلك المرادي (ت 749ه)، الذي أقر أن حروف الاستعلاء غير المطبقة لا تفخيم فيها، وهي (القاف، والغين، والخاء)، وهذا ما يبين عنه قوله:« واعلم أن الحروف بالنسبة إلى التفخيم والترقيق أربعة أقسام:

1-مفخم مطلقا، وهو حروف الإطباق.

2-ومرقق مطلقا، وهو سائر الحروف إلا الراء واللام.

3- وما أصله التفخيم وقد يرقق، وهو الراء

4-وما أصله الترقيق وقد يفخم، وهو اللام»[27]، وهذا الرأي فيه نظر، ؛ لأنه لم يشر إلى تفخيم الاستعلاء سواء عن طبيعة فيزيولوجية أم باكتسابه عن طريق السياق، وهو مناف تماما لما ذهب إليه جمهور العلماء القدامى والمحدثين، وتبنى هذا الرأي قبله مكي بن أبي طالب في كتابه "الرعاية"[28].

2.3 عند علماء الأصوات:

احتكم علماء الأصوات المحدثين في تصنيف الأصوات اللغوية من حيث التفخيم والترقيق إلى معيارين اثنين؛ أولهما: النظر في البنية الفيزيولوجية النطقية للصوت، والصفات المصاحبة له عند مغادرته للجهاز النطقي، ومدى تأثيره على حاسة السمع، أما المعيار الثاني: فيتمثل في السياق وأثره في تغيير النطق بالصوت، أو ما يعرف بقانون التأثير بالمجاورة الصوتية، وذلك وفق شروط وضوابط محدودة.

استنادا إلى هذين المعيارين صنف المحدثون أصوات اللغة العربية، وذهبوا في ذلك إلى أربع اتجاهات:

الاتجاه الأول: ويمثله اللغوي "محمد كمال بشر"في كتابه"علم الأصوات"، مصنفا الأصوات من حيث التفخيم والترقيق إلى ثلاث طوائف[29]:

أ/الطائفة الأولى: أصوات مفخمة تفخيما كليا، ويدرج ضمنها الأصوات المفخمة تفخيما طبيعيا؛ أي تلك الأصوات التي يكون التفخيم فيها أصالة وحقيقة، وهي الأصوات المطبقة (ص، ض، ط، ظ)، ولعل سائل يسأل: لماذا هذه الأصوات دون غيرها؟والجواب: لأن هذه الأصوات هي أصوات إطباق، وظاهرة التفخيم فيها مصاحبة لها في مخرجها الصوتي، ولها وقع كبير على حاسة السمع، وآلية الإطباق هي المسبب في ربو الحرف وفخامته، وبالتالي يصبح التفخيم ذاتيا في الصوت المطبق وليس مشروطا بقانون المجاورة أو مكتسبا بالسياق.

ب/الطائفة الثانية:وتشمل الأصوات المفخمة تفخيما جزئيا، أو كما يسميها "كمال بشر" «بالطائفة البينية، وهي أصوات لها حالات من التفخيم والترقيق، أو-قل- إن تفخيمها مكتسب مشروط، تكتسب تفخيمها من السياق الذي تقع فيه، وهذا الاكتساب أيضا مشروط في حدود خاصة، هذه الأصوات هي: القاف والغين والخاء»[30].

وبما أن تفخيمها مشروط، فهو يستند إلى قانون الفتح والضم التابع لها بنوعيه(الطويل والقصير)، ومن أمثلة ذلك: قتل، قاتل/خدع، خادع/غلب، غالب/وقُل، يقول/يبلغ، يبلغون/يأخذ، يأخذون، أما في ترقيقها فتحتكم إلى قانون الكسر (القصير والطويل)، على نحو قولك: بقي، قيل/غل، غيد/خفة، نخيل[31].ولا تخرج هذه الأصوات عن هذه الشروط في كل أسيقتها المختلفة. وتجب الإشارة ههنا، أن أصوات هذه المجموعة مضافة إلى أصوات الطائفة الأولى(الإطباق) تسمى أصوات الاستعلاء.

ج/الطائفة الثالثة:ويدرج ضمن هذه المجموعة الأصوات المتبقية، التي يكون فيها الترقيق أصلا وطبيعة،إلا أنه قد يلحقها التفخيم بالسياق، ومن أمثلة ذلك، صوت (الباء) في كل من طاب/تاب، فالباء الأولى خرجت عن كينونتها الأصلية ألا وهي الترقيق لتصبح مفخمة، وذلك راجع إلى أثر صوت الطاء المفخم تفخيما كليا، في حين نجد الباء الثانية في (تاب) بقيت محافظة على ترقيقها الأصلي، لغياب عامل التأثير[32].

ويخرج من هذه الطائفة، صوتا اللام والراء[33]، وذلك نظرا للطبيعة الانسيابية لهذين الصوتين، فمع الراء يخرج الصوت من بين ضربات اللسان المتكررة على سقف الفم، أما مع اللام فيتسرب صوته من جانبي اللسان الأيمن والأيسر، ومع كلي الصوتين يتراجع مؤخر اللسان نحو الجدار الخلفي للحلق، مما يتولد عنه ونين صوتي يكسبهما قيمة تفخيمية، ويحتكم كلاهما في تفخيمه وترقيقه إلى قوانين تتمثل فيما يلي:

الراء: الأصل فيها التفخيم، وترقق في ثلاث حالات:

أولها:إذا ألحقت بكسرة (قصيرة أو طويلة)، وسواء ضم، أو تلاها حرف استعلاء، نحو: رجال، رحاب، رخوة، ويدرج ضمن هذا الباب الراء الممالة، من مثل قولك: الكبرى بالإمالة.

ثانيها:الحالة الثانية التي ترقق فيها الراء:«إذا وقعت ساكنة بعد كسر، وذلك بشرطين، أن تكون الكسرة كسرة أصلية وألا يقع بعد الراء صوت استعلاء، مثل: فرعون، فرية، مرية، الخ فإن كانت الكسرة كسرة عارضة (المتمثلة في كسر همزة الوصل والكسرة التي يؤتى بها للتخلص من التقاء الساكنين، إذا كانت المسرة واحدة من هاتين الكسرتين، وجب تفخيم الراء كما في نحو: اركعوا، إن ارتبتم»[34].

ثالثها:إذا وردت ساكنة في الوقف عليها بعد ساكن مسبوق بكسرة، نحو: فِهر، بئر، بِشر، ويشترط في هذه الحالة ألا يسبقها حرف استعلاء، وإن كان كذلك وجب تفخيمها، في مثل: مصرْ، خضرْ، قطرْ[35].

حالات تفخيمها[36]:

1-تفخم الراء، إذا وقعت ساكنة مسبوقة بكسر أصلي، ولحقها صوت استعلاء، نحو: مرصاد، فرقة.

2-إذا جاءت مفتوحة أو مضمومة (طويل أو قصير)، مثل: ربي، إشراق، ورب، شروق، وإذا سبقها فتح أو ضم وجاءت ساكنة، نحو:شرْق، تربة.

3-إذا جاورها حرف استعلاء في جميع حركاتها، نحو: رقاب، مرضي، قربى.

اللام: الأصل فيها الترقيق، ولها حالات من التفخيم والترقيق إذا وردت في لفظ الجلالة (الله/اللهم)، تفخم إذا وقعت بعد فتح أو ضم كقولك: قال الله، قالوا اللهم، وترقق إذا جاءت بعد كسر(سواء كان كسرا عارضا أم أصليا). في مثل: بسم الله، أفي الله شك، قل اللهم[37]، ومن جمع ما سبق، يمكن القول:التفخيم في اللام ظاهرة سياقية، أما في الراء فهو أصلي فيه، واتكأ هذا الاتجاه على ما ذهب إليه علماء التجويد وعلى رأسهم ابن الجزري، الذي نجده مستشهدا بآرائه ونظمه في كثير من الأحيان"[38]" .

الاتجاه الثاني: من الأصواتيين المحدثين الذين مثلوا هذا الاتجاه، محمد علي الخولي، الذي صنف الصوامت من حيث التفخيم والترقيق في أربعة أقسام[39]:

أ/التفخيم الكامل: ويضم أصوات الإطباق الأربعة (ص، ض، ط، ظ)، ولهذه الأصوات مقابلات مرققة هي: (س، د، ت، ذ)على نفس الترتيب.

ب/التفخيم الجزئي: ويشمل الخاء، والقاف، والغين، وهذه الأصوات ليس لها نظائر مرققة، وعلة التفخيم الجزئي فيها أن ارتفاع مؤخر اللسان نحو الطبق فيها، أقل درجة من ارتفاعه في الأصوات كاملة التفخيم.

ج/التفخيم المؤقت: ويدرج ضمن هذا القسم صوتان اثنان هما: اللام والراء، وتحتكمان في ترقيقهما وتفخيمهما إلى شروط:

اللام: تفخم إذا كانت مسبوقة بفتح أو ضم في لفظ الجلالة (الله)، وترقق فيه إذا سبقت بكسر.

الراء:تفخم الراء إذا ألحقت بفتح قصير أو طويل، وترقق في غير ذلك، وهو ما يتفق مع ما ذهب إليه علماء التجويد.

د/التفخيم السياقي: ويخضع هذا النوع من التفخيم إلى قانون المجاورة، ويشترط فيه وجود صوت مفخم تفخيما كليا أو جزئيا أو مؤقتا، الذي سيكون له أثر في تفخيم الأصوات التي بعده، ومثال ذلك: صام، صال، قال، غاب، طاب، فهذه الكلمات تحتوي كلها على صوت مفخم إما كاملا، أو جزئيا، أو مؤقتا.

وتجب الإشارة هنا، إلى أن «فرق هام بين التفخيم السياقي وسواه من أنواع التفخيم السياقي للصوت قد يحدث لأي صوت لغوي في حين أن أنواع التفخيم الأخرى لا تضم سوى عدد محدود من الأصوات، ففي التفخيم الكامل الأصوات الأربعة هي/ص ظ ض ط/، وفي التفخيم الجزئي، الأصوات الثلاثة/خ ق غ/، وفي التفخيم المؤقت هناك اثنان هما /ل ر/»[40].

وهذا يفضي بنا إلى القول: إن أصوات التفخيم المؤقت والتفخيم السياقي تتفق في خضوعها للسياق الذي تقع فيه، وتختلف فقط في نوع الشرط السياقي، فالأولى تكتسبه بتأثير الحركات (فتح ضم كسر)، والثانية تكتسبه بمجاورتها للأصوات المطبقة أو المستعلية (ص، ض، ط، ظ، ق، غ، خ).

الاتجاه الثالث: ومن علماء الاتجاه الثالث في طرق تصنيف الأصوات اللغوية من حيث التفخيم والترقيق، عبد القادر عبد الجليل في كتابه "الأصوات اللغوية"، بحيث نجده قسم الأصوات المفخمة إلى ثلاثة أصناف مردفا إياها بقسم رابع خصه للأصوات المرققة، نرصفها على النحو الآتي[41]:

أ/الأصوات المفخمة 100٪: وتضم أصوات الإطباق الأربعة (ص، ض، ط، ظ)، واللام المفخمة.

ب/أصوات مفخمة 50٪: وتتمثل في الخاء، والغين، والقاف.

ج/صوت بين حالتي التفخيم والترقيق: وهو صوت الراء، ويذهب فيه مذهب القراء وعلماء التجويد، ومما يؤكد ذلك قوله:«أما الفئة الثالثة، وهي الراء، فإنها تفخم في مثل راشد، رحيم، والقراء يفخمونها إذا كانت مفتوحة: رفعكم، ويرققونها إذا سبقت بكسر أو ياء: خبير، كبيرة، وتفخم إذا كانت مسبوقة بفتح، يرجعون»[42].

الاتجاه الرابع: ويمثل هذا الاتجاه الباحث "أحمد مختار عمر"، بحيث صنف الأصوات المفخمة إلى ثلاثة أنواع[43]:

أ/الأصوات كاملة التفخيم، أو مفخمة من الدرجة الأولى، وهي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، واللام المفخمة.

ب/أصوات ذات تفخيم جزئي، أو مفخمة من الدرجة الثانية، وهي: الخاء، والغين، والقاف.

ج/صوت يفخم في مواقع ويرقق في مواقع، وهو الراء.

ومما هو ملاحظ على" أحمد مختار عمر"، أنه اكتفى بهذا التصنيف الثلاثي للأصوات المفخمة دون أي إشارة إلى المجموعة المرققة، باستثناء بعض التلميحات في معرض حديثه عن نظائر المفخمات تفحيما كليا (ص، ض، ط، ظ)، معللا إدراجه لصوت اللام في المجموعة الأولى خلافا للكثير من العلماء سواء القدامى أم المحدثين من معاصريه، الذين عاملوا اللام على أنها تنوع أو ألوفون للام المرققة، متبنيا رأي فرجسون Ferguson الذي يعد«أول من اعتبر اللام المفخمة فونيما مستقلا في اللغة العربية، وقدم أدلته على هذا، ويبدو أن رأيه قد لاق قبولا فيما بعد»، وتبناه عدة معاصرين له من الأصواتيين العرب، كسلمان حسن العاني[44] ، وسمير شريف استيتية.

وفي نظرنا، هذا الرأي مجانب للصواب؛ لأن استعمالات هذا الحرف تبين عن أصالة الترقيق فيه، ويكتسب قيمته التفخيمية من السياق وفق شروط معينة، وهذا ما أجمع عليه أسلافنا من القراء وعلماء التجويد واللغويين في ترصدهم لصوت اللام وتلويناته المختلفة في القرآن الكريم، ونجد هذا التصنيف في التفخيم والترقيق يقابل عند علماء التجويد بما يعرف بمراتب التفخيم والترقيق.

4. مراتب التفخيم والترقيق عند علماء التجويد:

لقد لاحظ علماء التجويد شدة الترابط بين قوة التفخيم والإطباق من جهة، والاستعلاء من جهة أخرى، وبناء على هذا وضع هؤلاء تفخيم الأصوات على درجات؛ لأنه في رأيهم ليس قارا على درجة واحدة بل يختلف من صوت لآخر، ولعل هذا ما يوضحه قول المرعشي:«ثم اعلم أن التفخيم لازم للاستعلاء فما كان استعلاؤه أبلغ كان تفخيمه أبلغ، فحروف الإطباق أبلغ في التفخيم من حروف الاستعلاء...ولما كان الطاء المهملة أقوى في الإطباق من أخواتها كان تفخيمها أزيد من تفخيم أخواتها»[45] التي من نفس جنسها.

ويردف على ذلك قائلا:«ولما كان الصاد والضاد متوسطتين في الإطباق كما عرفت كانتا متوسطتين في التفخيم أيضا، ولما كانت الظاء المعجمة أضعف حروف الإطباق كان تفخيمها كان تفخيمها أقل من تفخيم أخواتها»[46]، مكتفيا بهذا الترتيب دون أن يوضح لنا علة هذا الترتيب من الناحية الفونيتيكية.

وهو عكس ما ذهب إليه مكي بن أبي طالب قبله في كتابه "الرعاية"، بحيث نجده أعطى تعليلا على قدر كبير من الدقة والإقناع، وذلك من خلال قوله: «فالطاء أقواها في الإطباق وأمكنها، لجهرها وشدتها، والظاء أضعفها لرخاوتها وانحرافها إلى طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا، والصاد والضاد متوسطان في الإطباق»[47]، أما بالنسبة للتفخيم في حروف الاستعلاء فنجد المرعشي يحدد مراتبه على الشكل الموضح في قوله:«إن قدر التفخيم على قدر الاستعلاء والإطباق، فالطاء المهملة أفخم الحروف، ولما كان القاف أبلغ في الاستعلاء من الغين والخاء المعجمتين كما عرفت، كان أفخمهما»[48] دون أن يشير إلى أيهما أسبق في الترتيب بعد القاف الغين أم الخاء.

وهناك من ذهب إلى أبعد من ذلك، حيث رتب الأصوات في درجة تفخيمها وقوتها على حسب حركاتها، ومن هؤلاء نجد ابن الطحان (ت560ه)، وهذا ما يبين عنه كلامه:« هذا وحروف الاستعلاء بحسب القوة والضعف الناشئين من اختلاف أحوالها ثلاثة أضرب...:

الأول:ما يتمكن فيه التفخيم وهو ما كان مفتوحا.

الثاني:ما كان دونه وهو المضموم.

الثالث: ما كان دونه أيضا وهو المكسور »[49]، مخالفا بذلك ابن الجزري الذي وضع مراتب التفخيم على خمس[50]:

الأولى: المفتوح الذي بعده ألف مثل: (قال).

الثانية: المفتوح الذي ليس بعده ألف مثل: (خلقكم).

الثالثة:المضموم، مثل:(يقول).

الرابعة: الساكن مثل:(فيقتُلون ويقتَلون).

الخامسة: المكسور، مثل:(قيل).

وهذا رأي راجح عند أغلب العلماء، وفيه نظر، لأنه يمس الأصوات المستعلية والمطبقة فقط، وخرجت بذلك الأصوات المفخمة التي تكتسب تفخيمها بالسياق، كاللام والراء .

5. خاتمة:

-توصلت الدراسة إلى أن مصطلح التفخيم والترقيق من المصطلحات التي حظيت بعناية علماء التجويد وعلماء الأصوات على حد سواء، وأنه لا توجد حدود فارقة بين الدراسات الصوتية الحديثة وعلم التجويد في تعاملهم مع ظاهرة التفخيم، بل نجد آراء علماء التجويد معتمدة بشكل كبير عند المحدثين وهذا ما يحتاجه الدرس الصوتي من تكامل بينهما لسد تلك الفجوات الملموسة عند كليهما.

-إن الأساس في تفخيم الأصوات عند كل من العلمين هو ارتفاع مؤخر اللسان نحو الحنك اللين(الطبق)، أما الاختلاف بين الصوت المطبق والمستعلي فهو درجة ارتفاع اللسان بحيث هناك تفاوت بينهما، ولعل هذا ما يجليه صوت الطاء (الذي يحقق أعلى قيمة تفخيمية)؛ لأنه أقوى المطبقات.

-اللام الأصل فيها الترقيق، وتكتسب حالاتها التفخيمية في لفظ الجلالة (الله) بعد فتح أو ضم، باتفاق علماء التجويد وعلماء الأصوات.أما تفخيم الراء فهو أصلي، ولها حالات من الترقيق محدودة بشروط معينة في أسيقتها الواقعة فيها، وهو ما يسمى بالتنوع الصوتي أو الألوفوني عند بعض المحدثين.

-إن مراتب التفخيم عند علماء التجويد تقابلها عند الأصواتيين تلك التصنيفات المستحدثة في الأصوات المفخمة إما تفخيما كليا (100٪)، أو تفخيما جزئيا (50٪)، وإما بين التفخيم والترقيق كما في صوت اللام والراء.

6.قائمة المراجع:

- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، (د.ط)، 1418ه، 1997م.
- جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
-الحسن بن قاسم بن عبد الله المرادي، شرح الواضحة في تجويد الفاتحة، تح: عبد الهادي الفضلي، دار القلم بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- سلمان حسن العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية فونولوجيا العربية، تر: ياسر الملاح، مراجعة، محمد محمود غالي، النادي الأدبي الثقافي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1403ه، 1983م.
- غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، دار عمار عمان، الأردن، ط2، 1428ه، 2007م.
-ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، أشرف على تصحيحه ومراجعته للمرة الأخيرة، علي محمود الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، (د.ت).
-أبو الأصبع السماتي المعروف بابن الطحان، الإنباء في أصول الأداء، تح:صالح الضامن، مكتبة الصحابة بالإمارات العربية المتحدة الشارقة، ومكتبة التابعين، القاهرة، ط1، 1428ه، 2007م.
-أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، 1399ه، 1979م.
-أبو الفتوح سيف الدين بن عطاء الله الوفائي، الجواهر المضية على المقدمة الجزرية، مخطوط في مكتبة الأوقاف، بغداد، الرقم (2/2402).
-أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد القرطبي، الموضح في التجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2000م.
-أبو محمد مكي بن أبي طالب، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مؤسسة قرطبة، ط1، 2005م.
-أبو محمد مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تح: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، ط3، 1404ه، 1984م.

-تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، (د.ط)، 1990.

-سمسر شريف استستية، الأصوات اللغوية، رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، دار وائل للنشر والتوزيع،عمان، الأردن، ط1، 2003م.

-عبد الرحمن أيوب، محاضرات في اللغة، منهج في دراسة اللغة من الناحية الاجتماعية والنفسية ودراسة أصواتها ومفرداتها وقواعدها، القسم الأول، مطبعة المعارف، بغداد، (د.ط)، 1966م.

-عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (د.ط)1998م.

-عطية قابل نصر، غاية المريد في علم التجويد، القاهرة، ط1، 1414ه، 1994م.

-كمال محمد بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، 2000م.

-محمد بن أبي بكر المرعشي، جهد المقل، دراسة وتحقيق: سالم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، ط2، 1429ه، 2008م.

-محمد جواد النوري، من لسانيات اللغة العربية، علم الأصوات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1976م.

-محمد علي الخولي، الأصوات اللغوية، دار الفلاح للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (د.ط) 1990م.

-مصطفى حركات، الصوتيات والفونولوجيا، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1998م.

-ملا علي القاري، المنح الفكرية في شرح المقدمة الجزرية، تح: أسامة عطايا، مراجعة، أحمد شكري، دار العوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، سورية، ط2، 1433ه، 2012م.

المجلات:

-ابتسام حمدان، ظاهرة التفخيم الصوتي في اللغة العربية، دراسة نطقية-وصفية-مخبرية، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، العلوم الإنسانية، المجلد 26، العدد4، 2012م.

-عبد الحميد الأقطش، التفخيم في العربية ومستوياتها، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد 6، العدد2، ربيع الثاني، (1431ه-2010م).

7. هوامش:

[1]-أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، مادة(ف.خ.م)، ج4، ص481.

[2]- جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة(فخم)، ج12، ص450، وينظر، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح:مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مادة (فخم)، ص1144.

[3]-ابن فارس، المصدر نفسه، مادة (ر.ق)، ج2، ص377/376.

[4]-ابن منظور، المصدر نفسه، مادة(رقق)، ج10، ص121، وما بعدها.

[5]-مكي بن أبي طالب، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تح: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، ط3، 1404ه، 1984م، ج1، ص 209.

[6]-أبو القاسم عبد الوهاب بن محمد القرطبي، الموضح في التجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2000م، ص19

[7]-القرطبي، المصدر نفسه، ص111.

[8]-محمد بن أبي بكر المرعشي، جهد المقل، دراسة وتحقيق: سالم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، ط2، 1429ه، 2008م، ص153، 154.

[9]- محمد بن أبي بكر المرعشي، نفسه، ص154.

[10]-ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2، ص90.

[11]-تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، (د.ط)، 1990، ص90.

[12]-عبد الرحمن أيوب، محاضرات في اللغة، منهج في دراسة اللغة من الناحية الاجتماعية والنفسية ودراسة أصواتها ومفرداتها وقواعدها، القسم الأول، مطبعة المعارف، بغداد، (د.ط)، 1966م، ص105.

[13]-كمال محمد بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ط)، 2000م، ص394.

[14]-عبد الحميد الأقطش، التفخيم في العربية ومستوياتها، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المجلد 6، العدد2، ربيع الثاني، (1431هـ-2010م)، ص77.

[15]-مصطفى حركات، الصوتيات والفونولوجيا، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1998م، ص54.

[16]-ابتسام حمدان، ظاهرة التفخيم الصوتي في اللغة العربية، دراسة نطقية-وصفية-مخبرية، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، العلوم الإنسانية، المجلد 26، العدد4، 2012، ص890.

[17]-سمسر شريف استستية، الأصوات اللغوية، رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، دار وائل للنشر والتوزيع،عمان، الأرذن، ط1، 2003م، ص143.

[18]-محمد جواد النوري، من لسانيات اللغة العربية، علم الأصوات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ط)، 1976م، ص223.

[19]-عبد الرحمن أيوب، محاضرات في اللغة، ص105.

[20]- سمسر شريف استستية، الأصوات اللغوية، ص143.

[21]- محمد علي الخولي، الأصوات اللغوية، ص214.

[22]-ينطر، أحمد مختارعمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، (د.ط)، 1418هـ، 1997م، ص325، ص326.

[23]-أبو الأصبع السماتي المعروف بابن الطحان، الإنباء في أصول الأداء، تح:صالح الضامن، مكتبة الصحابة بالإمارات العربية المتحدة الشارقة، ومكتبة التابعين، القاهرة، ط1، 1428هـ، 2007م، ص40/39.

[24]- ينظر، ابن الطحان، نفسه، ص42/41.

[25]-ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1، ص215.

[26]-ينظر، غانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، دارعمار عمان، الأردن، ط2، 1428هـ، 2007م، ص404، نقلا عن الوفائي، الجواهر المضية على المقدمة الجزرية، مخطوط في مكتبة الأوقاف، بغداد، الرقم (2/2402)، ص 50..

[27]- ينظر، غانم قدوري الحمد، نفسه، ص403، نقلا عن المرادي، شرح الواضحة في تجويد الفاتحة، تح: عبد الهادي الفضلي، دار القلم بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص55.

[28]-أبو محمد مكي بن أبي طالب، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق مكتبة قرطبة للبحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مؤسسة قرطبة، ط1، 2005، ص 68.

[29]- ينظر،كمال محمد بشر، علم الأصوات، ص396 وما بعدها.

[30]- كمال محمد بشر، نفسه، ص401.

[31]- كمال محمد بشر، نفسه، ص401.

[32]- كمال محمد بشر، نفسه، ص403.

[33]- كمال محمد بشر، نفسه، ص404.

[34]- كمال محمد بشر، نفسه، ص406.

[35]- كمال محمد بشر، نفسه، ص406، وما بعدها.

[36]-ينظر، كمال محمد بشر، نفسه، ص407.

[37]- ينطر، كمال محمد بشر، نفسه، ص408.

[38]- ينطر، كمال محمد بشر، نفسه، ص406، وما بعدها.

[39]-ينظر، محمد علي الخولي، الأصوات اللغوية، ص215 وما بعدها.

[40]- محمد علي الخولي، الأصوات اللغوية، ص217.

[41]-ينظر، عبد لقادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (د.ط)1998م، ص152 وما بعدها.

[42]- عبد القادر عبد الجليل، نفسه، ص154.

[43]- أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص325، ص326.

[44]-ينظر، سلمان حسن العاني، التشكيل الصوتي في اللغة العربية فونولوجيا العربية، تر: ياسر الملاح، مراجعة، محمد محمود غالي، النادي الأدبي الثقافي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1403هـ، 1983م، ص77.

[45]- المرعشي، جهد المقل، ص155،154.

[46]- المرعشي، نفسه، ص155.

[47]- أبو محمد مكي بن أبي طالب، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، ص68.

[48]- المرعشي، نفسه، ص155.

[49]-ملا علي القاري، المنح الفكرية في شرح المقدمة الجزرية، تح: أسامة عطايا، مراجعة، أحمد شكري، دار العوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، سورية، ط2، 1433هـ، 2012م، ص159، 160.

[50]-عطية قابل نصر، غاية المريد في علم التجويد، القاهرة، ط1، 1414هـ، 1994م، ص158.